*نماذج من دراسات المتأدبين (1)*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ منة الله مجدى محمد

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*menna.magdy@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في نماذج من دراسات المتأدبين**

**الكلمات المفتاحية : سر الفصاحة ، الدراسات النقدية ، العصور المتقدمة**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن نماذج من دراسات المتأدبين**

1. **عنوان المقال**

**ونأخذ من نماذج ذلك على سبيل المثال: (الصناعتين)، لأبي هلال العسكري، و(العمدة)، لابن رشيق، و(سر الفصاحة)، لابن سنان الخفاجي.**

**والغرض من ذلك، هو الوقوف على كيفية تطور الدراسات النقدية والبلاغية، وتأثر اللاحق فيها بالسابق، وكنا قد وقفنا على مدى ارتباط البلاغة والنقد الأدبي، وامتزاجهما في العصور المتقدمة، ومدى تعلق كلٍ بالآخر، ونجد صورة هذا الاختلاط والامتزاج -كما سبق أن ذكرنا- في كتب الجاحظ، وفي كتاب: (الصناعتين)، لأبي هلال العسكري، وفي: (طبقات الشعراء)، لابن سلام، وغيرهما من الكتب والمؤلفات، وذكرنا: أن النقد الأدبي تحول في فترة من فتراته إلى دراسة بلاغية، حين أصبح هم الناقد الأدبي يتجه إلى ما في العمل الأدبي من مطابقة لمقتضى الحال، الذي أصبح موضوعًا لعلم المعاني، أو مدى ما فيه من وضوح الصور وسعة الخيال وعكس ذلك، مما هو موضوع علم البيان، ومدى ما فيه من حلي، وزينة، وزخرفة، مما يختص به علم البديع.**

**الأمر الذي يعني أن البلاغة ليست شيئًا ينفصل عن النقد الأدبي، بل هي جزء أساسي من علومه، فإذا كان الهدف من النقد، هو وضع النص الأدبي في مكانه الصحيح من القوة أو الضعف؛ فإن كثيرًا من نواحي هذه القوة، أو ذلك الضعف يرجع إلى تحري قواعد البلاغة، أو إغفالها، أو الإكثار منها، أو الإقلال، والناقد الأدبي وهو يتناول نصًّا من النصوص، لا يمكنه أن يتجاهل مدى ما فيه من نواحٍ جمالية، أو خلوه منها، وسلاحه في ذلك هو إلمامه بعلوم البلاغة، وما اشتملت عليه من تفاصيل؛ فالبلاغة إذًا سلاح هام في يد الناقد الأدبي.**

**وعلى الرغم من الامتزاج والاختلاط بين البلاغة والنقد الأدبي، إلَّا أننا نلمح بينهما كثيرًا من الفروق، يعود معظمها إلى طبيعة هذين العلمين، بعد أن تحدد لكل منهما إطاره.**

**من هذه الفروق:**

**الفرق الأول: ارتباط البلاغة ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم والدراسات القرآنية؛ بينما قامت حول الأدب؛ شعره ونثره دراسات نقدية، وقد اتضح لنا ذلك من دراستنا للبيئتين اللتين نشأت في أحضانهما البلاغة.**

**الفرق الثاني: البلاغة أكثر ثباتًا من النقد الأدبي؛ لأنها قواعد تثبت في الغالب الأعم، وقليل أن يضاف إليها أو يُخرج فيها عن ثوابتها وقواعدها، بينما النقد متحرك مع إنتاج العصر.**

**الفرق الثالث: البلاغة يغلب عليها الطابع المنطقي القائم على العقل، بينما النقد الأدبي بشكله لون من الفن القائم على التذوق المجرد، والإحساس المرهف.**

**الفرق الرابع: أنه بالنظر إلى تعريف علم البلاغة -كما حددها السكاكي- وإلى تعريف النقد الأدبي بشقيه، نجد أن البلاغة نظرية؛ لأنها تشريع وتقنين، بينما النقد عملي؛ لأنه تطبيق لمعلومات، ومعارف مختلفة على العمل الأدبي.**

**الفرق الخامس: أن غاية البلاغة هو اكتساب المهارة الفنية في النتاج الأدبي، ووضع تشريع أمام الناقد يسير على ضوئها، بينما غاية النقد الأدبي توظيف هذه المهارة؛ ليتمكن بصورة أوسع من تمييز الجيد من الأعمال الأدبية والرديء منها، وعلى نحو ما أسلفنا فيما مضى؛ لوحظ أن بيئات كثيرة عنيت بالبحث البلاغي في القرن الرابع الهجري، مما هيَّأ لنموه وهو نمو صاحَبتْه بعض دراسات تطبيقية، لعل من أهمها ما نهض به الشريف الرضي، المتوفى سنة 406، في كتابيه: (تلخيص البيان في مجازات القرآن) و(المجازات النبوية)، وهو في الكتاب الأول، يتناول مجازات القرآن الكريم مرتبة على سوره، وكل مجازات في سورة ترتب وفق ترتيب آياتها فيها، هو عادة يتبع الآية بقوله هذه استعارة، ثم يشرحها مبينًا ما فيها من مجاز أو كناية.**

**واختار في الكتاب الثاني، نحو ثلاثمائة وستين حديثًا، وأتبعها ببيان ما فيها من مجازات، واستعارات، وكنايات، والكتابان بحث تطبيقي عام، تكرر فيه كلمات الاستعارة، والكناية، والمجاز، دون قصدٍ إلى تحرير الفروق بين أنواع تلك الصور البيانية.**

**وقد يكون مرجع ذلك، أن أنواعها ودقائقها لم تكن قد حُرِّرت حتى عصره، وجانب آخر من نمو البحث البلاغي حينئذٍ، ذلك أن بعض المتأدبين عني بدرس صناعة الشعر وصناعة النثر، وبيان ما يجري فيهما من صور البيان والبديع، وهو درس لا يُقصد به إلى بيان إعجاز القرآن، ولا إلى نقد مقارن بين الشعراء، ولا إلى تطبيق نظريات أرسطو، والفكر اليوناني على البلاغة العربية، وخير ما يُمثل ذلك كتاب: (الصناعتين)، لأبي هلال العسكري، و(العمدة في صناعة الشعر ونقده)، لابن رشيق القيرواني، و(سر الفصاحة)، لابن سنان الخفاجي، وسنخص كل كتاب من الكتب الثلاثة بفضل بيان.**

**وأول هذه الكتب، كتاب: (الصناعتين)، لأبي هلال العسكري، مصنف هذا الكتاب: هو أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة 395 من الهجرة، وهو يريد بالصناعتين، صناعتي الكتابة، والشعر، وقد افتتحه بمقدمة نوى فيها بمعرفة علم البلاغة، وأنه ضروري لفهم إعجاز القرآن الكريم، وللتمييز بين جيد الكلام ورديئه، ولوقوف الكاتب والشاعر على ما ينبغي استخدامه من أساليب اللغة وألفاظها الجيدة البليغة، فيذكر كتاب: (البيان والتبيين)، للجاحظ، ويثني عليه، غير أنه لا يلبس أن يقول: "إن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلَّا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير".**

**ويقول: إنه من أجل ذلك ألَّف كتاب: (الصناعتين)؛ ليسد نقص كتاب الجاحظ، وليكشف عن الحدود والأقسام لوجوه البيان، ولا يلبث أن يصرح بأنه لم يؤلف كتابه على طريقة المتكلمين، وإنما ألفه على طريقة صناع الكلام من الشعراء والكتاب.**

**ولعله يريد كثرة ما ساقه من الأمثلة والشواهد على طريقة ابن المعتز، فقد مضى مثله يُكثر من الأمثلة والنصوص من القرآن والحديث، وكلام الصحابة والعرب، وأشعار المتقدمين والمحدثين، وجعل الكتاب في عشرة أبواب: بابٌ: لموضوع البلاغة وحدودها، وما جاء فيها من أقوال السابقين.**

**وباب ثانٍ: لتمييز الكلام جيده من رديئه، ومحموده من مذمومه، وهو في البابين جميعًا يستمد في وضوح من الجاحظ في بيانه.**

**وبابٌ ثالث: في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ: وفيه يفيض فيما يحتاج الكاتب إلى امتثاله من مكاتباته المختلفة.**

**وبابٌ رابع: تحدث فيه عن حسن النظم وجودة الرصف مستضيئًا بما نثره الجاحظ في بيانه.**

**وبابٌ خامس: للإيجاز والإطناب، استضاء فيه بالرماني، فقسم الإيجاز فيه إلى إيجاز قصر، وإيجاز حذف، وتحدث عن الإطناب، وجعل بينه وبين الإيجاز المساواة، وربما كان متأثرًا في ذكرها بقدامة.**

**أما الباب السادس: فجعله للسرقات الشعرية، وهي عنده قسمان: حسنة ومستقبحة، والحسن عنده يأتي من كسوة المعني بلفظ "رائق"، أو من نقل المعنى من غرض إلى آخر، أو من زيادة فيه من شأنها أن تخفي السرقة؛ بينما القبح يأتي من رداءة اللفظ، أو أخذ المعنى بأكثر لفظه أو بلفظه كله.**

**وأكثر هنا من النقل عن أستاذه وخاله أبي أحمد العسكري، وهو دائمًا في الكتاب هنا ينقل عنه، يقول: "أخبرني" ونحو ذلك، مما يدل على سماعه للكلام منه مشافهةً، وكانوا يقدمون السماع على النقل من الصحف، وأكبر الظن أن كل ما سمعه منه في الكتاب ونص عليه، إنما كان يمليه خاله، من كتاب: (صناعة الشعر).**

**وعقد أبو هلال، الباب السابع من كتابه: للتشبيه، وهو فيه يستمد في وضوح من الرماني؛ إذ يجعله على أربعة أوجه:**

**أولها: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.**

**وثانيها: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة.**

**وثالثها: إخراج ما لا يُعرف بالبديهة إلى ما يُعرف بها.**

**ورابعها: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها.**

**وساق في ثنايا ذلك طائفة من الآيات القرآنية التي استشهد بها الرماني، واستمد أيضًا في الباب من "ابن طبا طبا"، وما ذكره من وجوه التشبيه؛ إذ جعلها إما تشبيه شيء بشيء صورة وهيئة، أو لونًا وصورة، أو حركة إلى غير ذلك.**

**وجعل الباب الثامن: للسجع والازدواج، وأدخل فيهما فواصل القرآن، مخالفًا للرماني، والباقلاني، وأضرابهما من المتكلمين.**

**وقال: "إن السجع على وجوه، منها: أن يكون الجزءان المتوازيين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرفٍ بعينه، مثل: وادٍ غير منطور، وفناء غير معمور، ومنها أن تكون ألفاظ الجزأين مسجوعة، فيكون الكلام سجعًا في سجع، مثل: تعريضك تصريحًا، وتمريضك تصحيحًا".**

**وذكر من عيوب السجع متأثرًا بقدامة، التخنيع، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول غير مشاكلةٍ لفاصلة الجزء الثاني، والتطويل: وهو أن يكون الجزء الأول طويلًا، فيحتاج إلى إطالة الجزء الثاني ضرورةً.**

**أما الباب التاسع: فجعله لفنون البديع، وهي عنده خمسة وثلاثون فنًّا، ويقول: إنه زاد فيها على ما أورده سابقوه ستة فنون، وكأنه يلتقي معهم في تسعةٍ وعشرين فنًّا، وصرح باسم ابن المعتز، وقدامة، في غير موضع، وهو يلتقي بأولهما في الفنون التالية:**

**الاستعارة، تطبيق أو طباق، تجنيس أو جناس، والكناية والتعريض، ورد الأعجاز على الصدور، والالتفات، والاعتراض، والرجوع، وتجاهل العارف، والمذهب الكلامي، وكأن المصطلحات التي يتطابق فيها مع ابن المعتز؛ عشرة، والتقى بقدامة في المصطلحات الآتية:**

**المقابلة، وصحة التقسيم، وصحة التفسير، والإشارة، والإرداف، والتوابع، والغلو، والمبالغة، والعكس والتبديل، والترصيع، والإيغال، والتوشيح، والتكميل، والتتميم. وهي اثنى عشر مصطلحًا، تُضاف إلى مصطلحات ابن المعتز السابقة، فيبقى ثلاثة عشر مصطلحًا أو فنًّا، يقول: إنه وضع منها ستة، فتبقى هناك سبعة مصطلحات مجهولة النسب.**

**أما الستة التي وضعها فهي: التشطير، والمجاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف.**

**والسبعة المسبوقة هي: المماثلة، والتذييل، والاستطراد، وجمع المؤتلف والمختلف، والسلب، والإيجاب، والاستثناء، والتعطف.**

**ويظهر أن أبا هلال، جلب هذه المصطلحات السبعة، من رسالة خاله أبي أحمد في: (صناعة الشعر)، فإننا نجد الباقلاني يذكرها جميعًا على هدي تلك الرسالة، ما عدا جمع المؤتلف والمختلف، وذكر في بعضها صراحةً أنه ينقل عن أبي أحمد، مما يدل على أن أبا هلال نقلها جميعًا عن خاله.**

**أما الستة التي ذكرها قبلًا، فقد كان أبو هلال في غنًى عن ذكرها؛ لأنها تدخل في الأنواع التي سماها، ومثله ما أسماه باسم التلطف، وهو ضرب من حسن التعليل، وكان حريًّا أن يقرنه إلى المذهب الكلامي، وربما كان النوع الوحيد بين هذه الأنواع الستة الذي يُمكن قبوله هو التطريز، وهو أن تتقابل كلمات متساوية الحروف في القوافي كقول أبي تمام:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أعوام وصلٍ كاد ينسي طولها** | **\*** | **ذكر النوى فكأنها أيام** |
| **ثم انبرت أيام هجر أردفت** | **\*** | **بجوًى أسى فأكنها أعوام** |
| **ثم أنقضت تلك السنون وأهلها** | **\*** | **فكأنهم وكأنها أحلام** |

**ونراه يضيف إلى هذه الستة، ما أسماه باسم المشتق، وهو أن يشتق لفظ أو معنًى من لفظ؛ لتحسين شيء أو تقبيحه على نحو ما قال بعض الشعراء، في نفطويه؛ العالم اللغوي المشهور:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أحرقه الله بنصف اسمه** | **\*** | **وصير الباقي صراخًا عليه** |

**وأخرج العسكري إلى الباب العاشر، فتحدث فيه عن حسن المبادئ والمطالع، وجودة القوافي ودقة الخروج من النسيب إلى المديح، وهو في كل ذلك يستضيء بما كتبه "ابن طبا طبا" في كتابه: (عيار الشعر).**

**ومن المؤكد أن أبا هلال استقصى في كتابه: (صور البيان والبديع)، التي سجلها النقاد وأصحاب البلاغة حتى عصره، وهذا -بدون ريب- يرفع من عمله، وقد عني فيه بإكثاره من الأمثلة، كما عني في أحوال كثيرة بتحليل أطرافٍ منها، تحليلًا يدل على رهافة حسه، وصفاء ذوقه، ونقائه.**

**ومن الكتب التي غلب عليها الجانب الأدبي، كتاب: (العمدة في صناعة الشعر ونقده)، لابن رشيق القيرواني؛ فقد ألَّف هذا الكتاب، الحسن بن رشيق القيرواني، المتوفى سنة 463، وقد وزَّعه على نحو مائة باب، حاول فيها أن يجمع ما كُتب عن صناعة الشعر، ومسائله البيانية والبديعية عند المصنفين من قبل، والكتاب في جزأين، وقد استهل الجزء الأول، بالحديث عن فضل الشعر، وأن الإسلام لم يحاربه، وأنه ظل يجري على ألسنة الخلفاء، والقضاة، والفقهاء، ثم تحدث عن من رفعه الشعر ومن وضعه، ومن قضى له ومن قضى عليه، واستطرد يتحدث عن منافع الشعر ومضارِّه، والتكسب به، مفيضًا في أخبارٍ كثيرة عن الشعراء القدماء والمحدثين، حتى إذا انتهى من هذه المقدمات، أخذ يتكلم عن حدِّ الشعر وعناصره مفيدًا في كل ما كتبه من سابقيه، ولم يلبث أن فتح فصلًا للحديث عن اللفظ والمعنى، قال فيه: إنهما متلازمان، إذ اللفظ جسم روحه المعنى.**

**ومن ملاحظاته في هذا الباب، قوله: للشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتَّاب اطلعوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية، لا يتجاوزونها إلى سواها، وفي ذلك ما يصوَِّر مدى ما أصاب أساليب الشعر في أذهان النقاد وأصحاب البلاغة من تحجُّر، وكان حَريًّا بهم أن يفتحوا الأبواب واسعة أمام الشعراء والكتاب؛ ليتطوروا بأساليبهم حتى لا يجمدوا في قوالب معينة، ولو أنه ناقش الفكر على أساس أن الشعراء يتقيدون في أشعارهم بأنغام موسيقاهم، مما يجعلهم يضطرون أحيانًا إلى استخدام ألفاظٍ غريبة، قلَّ ما اضطر إليها الكتَّاب؛ لارتضينا فكرته، لكنه عممها هذا التعميم المسرف.**

**والمهم، أن ابن رشيق القيرواني، عقد بعقب ذلك فصلًا، تحدث فيه عن المطبوع والمصنوع في الشعر، وعقد بعد ذلك بابًا واسعًا للأوزان والقوافي، تحدث فيه عن دوائر البحورـ، وأجزائها، وألقابها، وما يدخل فيها من زحافٍ، كما تحدث عن القوافي، وألقابها، وعيوبها، وفرَّق ما بين الرجز، والقصيد، ثم وقف عند المقاطع والمطالع، مشيرًا إلى ما أسماه قدامة، باسم: الترصيع، كما وقف عند المبدأ وحسن الخروج والنهاية، ناقلًا عن الآمدي، والحاتمي، وغيرهما من النقاد يُفرد بابًا للبلاغة، يذكر فيه بعض تعريفاتها، ثم يفتح للإيجاز بابًا ينقل فيه حديث الرماني عنه، وتقسيمه له، ويتلوه ببابٍ للبيان، وآخر للنظم يستمدها منه.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**